الأعضاء فتحدث " **الغرغرينا** " التي تقضي بقطع العضو الذي تظهر فيه، حتى لا يسري الفساد إلى الجسم كله فيكون الموت ، وكذلك يضعف مرونة الحنجرة ، ويهيج شعب التنفس ، ويحدث بحة في الصوت ويكثر السعال وانقطاع النسل ، فولد السكير ضعيف ، وحفيده أشد ضعفاً وأقل عقلاً ، وهكذا يسري الضعف إلى أولاده طبقة بعد أخرى حتى ينقطع النسل ، وقد أثبت الطب أن شرب الخمر ولو بكميات قليلة جداً يؤذي القلب .

* **ومن مضارها العقلية** : أنها تضعف القوة العقلية لتأثيرها في المجموع العصبي ، وكثيراً ما ينتهي الأمر بشاربها إلى الجنون .

* **ومن مضارها المالية** : أنها تفني الثروة وتستهلك المال .

* **ومن مضارها في المجتمع** : أنها تؤدي إلى وقوع النزاع والخصام بين السكارى وبعض الأقارب ، وبينهم وبين من يعاشرهم لأدنى بادرة تصدر من واحد منهم ، وذلك ما أشار إليه القرآن الكريم ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...** ﴾ المائدة٩١ .

وكذلك تؤدي إلى الخسة والمهانة في عيون الناس ، فقد يأتي السكير في كلامه وحركاته بما يضحك منه ، ويكون موضع السخرية من الناس ، ويعبث به الصبيان ، إذ يكون أقل منهم عقلاً ، والقليل من الخمر يؤثر على التحكم وضبط النفس مما يؤدي إلى حوادث كثيرة متعددة .

* **ومن مضارها النفسية** : إفشاء السر وهو ذو أضرار خطيرة ، ولا سيما إذا كان متصلاً بالحكومات ، وسياسة الدولة ، وشئونها الفكرية ، وعليها يعتمد الجواسيس في نجاحهم في مهماتهم التي ندبوا إليها .

* **ومن مضارها الدينية** : أن السكران لا تتأتى منه عبادة صحيحة ولا سيما الصلاة التي هي عماد الدين ، ومن ثم قال الله ﷻ ﴿ **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ....** ﴾ المائدة٩١.

أي يصدكم الشيطان بتناولها عن الذكر والصلاة . (٣٨)

فلكل هذه المضار على اختلاف أنواعها حرم الإسلام الخمر ليقي المسلم من آثارها الجسمية والعقلية والمالية والاجتماعية والدينية .

ولا يعقل بعد بيان هذه الأضرار وخطورتها أن يأتي إنسان ويدعي أن في الخمر دواء ، وأنها ــ مثلا كما يدعون ــ تصلح لعلاج آلام الكلى والحصى ، فهذا كلام غير معقول شرعا وعقلا .

فشرعا للأحاديث النبوية الشريفة : " **إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم** " (٣٩)

والحديث : " **إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا، ولا تتداووا بحرام .** " (٤٠)

وأما عقلا : فواضح من مضارها الجسمية فضلا عما تسببه من أمراض كثيرة ؛ ولذلك نجد أهل الاختصاص من المسلمين يؤكدون خطأ من يدعي أن في شرب الخمر علاج ، ويرون أن الخمر تجر على صاحبها كثيرا من الأمراض والويلات ، فمن أضرار الخمر والمخدرات ــ عموما ــ التسمم الغولي الحاد المزمن ، والتوتر العصبي ، والتهاب المرئ

(٣٨) راجع تفسير المراغي ج٢/١٤١-١٤٢ .

(٣٩) رواه البخاري عن ابن مسعود ﷺ ك الأشربة باب ١٥ ، المتن ٤/٢٣ .

(٤٠) رواه أبو داود في سننه ك الطب باب في الأدوية المكروهة رقم ٣٨٧٤ .

وسرطانه ، وأمراض الكبد كتشحمه وتشمعه ، واعتلال العضلة القلبية ، وفقر الدم .. إلى غير ذلك من أضرارها. (٤١)

يضاف إلى ذلك المفاسد الأخرى سواء اجتماعية أو نفسية أو مالية ...

لهذا فإن اعتبار الخمر والمخدرات ــ ونحوهما مما حرم الله ﷻ ــ وسيلة من وسائل العلاج غير صحيح من الناحية الطبية .

يقول د٠نجيب الكيلاني : " المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلا وشرعا ، أما الشرع فقد حرمها لخبثها ، فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيبا عقوبة لها ، كما فعل مع بني إسرائيل ، وإنما حرم على هذه الأمة ما حرم لخبثه ، فلا يتناسب أن يطلب له الشفاء من الأسقام والعلل . (٤٢)

بل إن رسول الله ﷺ يقطع الأوهام العالقة في أذهان بعض الناس من أن الخمرة دواء لعلاج بعض الأمراض ، وذلك عندما سأله طارق بن سويد عن الخمر ؟ فنهاه ، أو كره أن يصنعها ، فقال : إنما أصنعها للدواء ، فقال : **إنه ليس بدواء ولكنه داء .** " (٤٣)

قال النووي : وفيه التصريح بأنها ليست بدواء فيحرم التداوي بها ؛ لأنها ليست بدواء ، فكأنه يتناولها بلا سبب ، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا أنه يحرم التداوي بها . " (٤٤)

---

(٤١) مع الطب في القرآن ــ د٠عبد الحميد دياب ص١٤١ وما بعدها .

(٤٢) في رحاب الطب النبوي ــ د٠نجيب الكيلاني ص٦٠ ط بيروت مؤسسة الرسالة .

(٤٣) رواه مسلم في صحيحه ك الأشربة باب تحريم التداوي بالخمرة ــ راجع صحيح مسلم بشرح النووي ج١٣/١٥٢ ، وأبو داود في سننه ك الطب باب الأدوية المكروهة رقم ٣٨٧٣ .

(٤٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٣/١٥٣ .

هذا ، وإذا كانت الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر أطعمة وأشربة حرمها الإسلام من أول الأمر ، فإن الإسلام تدخل في تناول الأطعمة والأشربة الحلال ، وقاية للمسلم ، فطالب بأن تكون وسطا ، فلا إفراط ولا تفريط في الطعام والشراب ؛ لأن التفريط في تناول الأطعمة والأشربة يتسبب في ضعف عام يشمل بنية الجسم كلها فلا يقوى هذا الإنسان على تحمل واجباته الدينية والدنيوية ، وبالتالي يؤدي إلى إهمالها وتركها ، وكل ما أدى إلى الحرام ــ وهو ترك الواجبات الدينية والدنيوية ــ فهو حرام ، فيكون التفريط في تناول الأطعمة إلى حد إهلاك النفس أمر أمرا حراما ، قال ﷻ :

﴿ ... ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما .﴾ النساء ٢٩ .

أما الإفراط في الأطعمة والأشربة والإسراف فيهما ، فهذا أيضا تنشأ عنه أضرار كثيرة للإنسان والمجتمع مما قد يجعل من الإسراف أمرا حراما، ويضع صاحبه في طبقة المكروهين من الله ، قال ﷻ :

﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين .﴾ الأعراف ٣١ .

ولقوله ﷺ : " **كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة .** " (٤٥)

وإنما كره الإسلام الإسراف في الطعام والشراب لأن المعدة في الإنسان هي أساس الأمراض وبيت الداء ، وهي " السبب في كثير من الأمراض المعوية وأمراض الكبد وفقر الدم وأمراض القلب ، والجسم وحدة متكاملة إذا مرض عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . " (٤٦)

---

(٤٥) رواه البخاري في صحيحه ك اللباس باب قوله تعالى﴿ قل من حرم زينة الله ... ﴾ والمخيلة إعجاب المرء بنفسه .

(٤٦) الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية د٠ محمود دياب ص١٠٣ .

ومعلوم أن لكل شيء طاقة وقدرة فإذا حمل فوق طاقته توقف عن العمل، وهكذا المعدة لها طاقة وقدرة فإذا حملناها فوق طاقتها وقدرتها توقفت عن العمل ــ إن عاجلا أو آجلا ــ وبالتالي تتخمر الأطعمة داخل البطن وتتعفن ثم تجر على صاحبها كثيرا من الأمراض التي لو لم تعالج في حينها ، ولم يقلع المريض عن الإسراف في الطعام والشراب لأودى هذا كله بحياته ، وكان ضحية الإسراف والإفراط في تناول المأكولات والمشروبات .

(ب) إفرازات يفرزها الجسم.

* **وأما الإفرازات التي يفرزها الجسم** : فإننا نجد أن الجسم يفرز بعض الإفرازات التي إذا لم تراع فيها نظم الإسلام وأسسه كانت وبالا عليه ، وعلى المجتمع من حوله ، وجلبت عليه وعلى بيئته الأمراض المختلفة التي قد تفتك بالكثير من الناس .

** هذه الإفرازات نوعان :- (١) البول والبراز . (٢) الحيض .

(١) فأما البول والبراز : فهما من المستقذرات التي يفرزها الإنسان ، وفي التحاليل الطبية التي قد تجري على أحدنا عند بعض الأطباء نجد في البول والبراز من الجراثيم والطفيليات ومسببات المرض الشيء الكثير ، فهذا بول به بلهارسيا ، وهذا بول به سكر ، وبول ثالث به زلال ، ورابع به صديد ... إلخ .

هذه الأمور التي لو تلوث بها إنسان لسببت له الأمراض ، ونقلت إليه الأوبئة المهلكة .

كذلك البراز هو الآخر قد يكو به ديدان الانكلستوما أو ديدان أخرى لو وطئها إنسان لنقلت إليه جرثومة المرض وأصابته بالأمراض ، وأدت إلى هلاكه .

والوقاية من هذه الإفرازات التي تحمل معها جراثيم المرض تتمثل في بعض أحاديث نبوية شريفة وردت عن رسول الله ﷺ توجب على المسلم أن يلتزم في قضاء الحاجة ببعض الأمور التي لو اتبعها وعمل بمضمونها لوقى نفسه ووقى غيره من مثل هذه الأوساخ والقاذورات التي لا تأتي إلا بالأمراض والهلاك ، فلقد نهى رسول الله ﷺ عن التبول في الماء راكدا أو جاريا ، فعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " **لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه .** " (٤٧)

وعن جابر ﷺ أن **نبي الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الجاري .** (٤٨)

وإنما نهى الرسول ﷺ عن التبول في الماء ــ راكدا وجاريا ــ لأن الماء الجاري يحتاج إليه الناس في مشربهم ومأكلهم ، ومشرب حيواناتهم ، فإذا تبول فيه إنسان مريض فهناك احتمال انتقال هذه الأمراض إلى إنسان آخر عن طريق استعماله لهذا الماء الملوث ، ولذلك نهى الرسول ﷺ عن التبول في الماء الجاري .

أما الماء الراكد فإن الضرر منه أشد ؛ لأنه يكون مرتعا خصبا للجراثيم والأمراض ، وتتجمع عليه الحشرات الضارة بالإنسان والحيوان من أمثال البعوض والذباب اللذان يسببان كثيرا من الأمراض .

كذلك نهى الرسول ﷺ عن التبول والتبرز في الطرق العامة أو في مكان به ظل يستظل الناس به ؛ لأن هذا يؤذي الناس برائحة البول والبراز فضلا عما يسببه لهم من أمراض ناشئة عن الجراثيم الموجودة بهما .

---

(٤٧) رواه البخاري في صحيحه ك الوضوء باب البول في الماء الدائم ، ومسلم في ك الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد ج١/١٣٣ الصحيح ط الحلبي عن أبي هريرة ﷺ .

(٤٨) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال :رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ج١/٢٠٤.

ولذا يقول الرسول ﷺ : " **اتقوا اللاعنين** . قالوا : ومـــا اللاعنـــان يـــا رسول الله ؟ قال : **الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم** . "[٤٩]

والالتزام بأدب الرسول ﷺ يقتضي من المسلم إذا قضى حاجته أن يدلـــك يده بالأرض بعد الاستنجاء ــ هذا في حق من لا يجد صابون أو منظـــف ــ أو يغسلها بمنظف ، وذلك لإزالة ما قد يكون عالقا بها من البـــول أو البراز أو من رائحتها أو بعض الجراثيم التي قد تكون فيهما ، وذلك كمـــا فعل الرسول ﷺ ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : **كـــان النبـــي ﷺ إذا أتـــى الخلاء أتيته بماء في تور أو ركوة فاســـتنجى ثـــم مســـح يـــده علـــى الأرض**.[٥٠]

وإذا ربطنا بين هذه الأحاديث الشريفة وبين مقولة الطب الحديث وجدنـــا أن الوقوع في هذه المنهيات التي وردت في هذه الأحـــاديث هـــو ســـبب انتشار الأمراض التي تسمى بالأمراض المتوطنة ، ولعل مـــن أشـــهرها البلهارسيا ، والانكلستوما ...

(٢) دم الحيض :- حيث إن المرأة في فترة الحيض مجهدة متعبة يظـــهر عليها الإرهاق والإعياء ، وتكون في حالة نفسية مضطربـــــة ، كمـــا أن أوردتها الدموية تكون متفتحة في فترة الحيض ، وغشيانها في هذا الوقت قد يضر بأنسجة الرحم ، وقد يتسبب في آلام لأعضاء التناسل عند الرجل والمرأة .

---

(٤٩) رواه مسلم في صحيحه ك الطهارة باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال عـــن أبـــي هريرة ﷺ ١٢٧/١ .

(٥٠) رواه أبو داود حديث رقم ٥٤ ، والتور : الإناء من النحاس ، والركوة : الإناء من الجلد .

وعلى الجملة فقرب المرأة في هذه المدة قد يحدث العقم في الذكر أو في الأنثى ، ويؤدي إلى التهاب أعضاء التناسل فتضعف صحتها ، وكفى بهذا ضرراً ، ومن ثم أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدة كما نزل بذلك القرآن الكريم . (٥١)

ويفصل أحد الأطباء هذا الضرر فيقول : " ولقد ثبت أن الحيض أذى أي ضرر على المرأة والرجل على حد سواء ، والضرر معنوي ومادي ، فالمرأة في حالة الحيض تتفتح أوعيتها الدموية في الرحم فتصبح مهيأة لقبول العدوى ، كما أن الرجل يتعرض للالتهاب من دم الحيض الذي هو خليط من خلايا بطانة الرحم ، والدم إفرازات الغدد ، وبه كثير من الجراثيم ، وانتقال جزء من دم الحيض إلى القناة البولية في الذكر يحدث فيها التهاباً ينتقل إلى البروستاتا والمثانة والحالبين ، وإلى حوض الكلى ، والكلى نفسها .

أما الضرر المعنوي فهو التقزز من الحالة التي عليها جهاز المرأة ، وفي هذه الفترة تكون المرأة غير مهيأة جنسياً . (٥٢)

(ج) ظهور بعض الأمراض المعدية .

ونظراً لظهور بعض الأمراض المعدية في مكان ما نجد معالجة الإسلام الناجعة لهذا الأمر ، وذلك حرصاً على سكان هذا المكان ، وعلى مَنْ يرد الدخول إليه ، حيث وضع ما يُسمى بالحجر الصحي ، وذلك حين قرر أن المرض المعدي إذا ظهر في منطقة من المناطق يلزم القيام بأمرين :

---

(٥١) راجع تفسير المراغي ١٥٧/٢ .

(٥٢) الطب والأطباء ــ د٠محمود دياب ص٨٩-٩٠ .

الأول : وهو ما يختص بالجماعة الموجودة في المنطقة الموبوءة بالمرض المعدي ، وهؤلاء يُمنعون من الخروج من هذه المنطقة إلى منطقة أخرى حتى لا تنتقل العدوى من هذه المنطقة إلى المناطق الأخرى فينتشر المرض ويعم كثيراً من الناس .

الثاني : وهو ما يختص بالجماعة التي هي خارج المنطقة الموبوءة بالمرض ، وهؤلاء يُمنعون من الدخول إلى هذه المنطقة حتى لا تنتقل العدوى إليهم .

وهكذا وضع الإسلام قواعد الحجر الصحي حتى تنحصر آثار المرض المعدي في أضيق الحدود وأصغر المناطق ، وأقل عدد من الناس .

ونجد قواعد الحجر الصحي هذه في جملة من أحاديث الرسول ﷺ قالها في بعض الأمراض المعدية كمرض الطاعون الذي قال فيه الرسول ﷺ : " **إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه .** " (٥٣)

واعتبر الإسلام الإنسان الذي يكون في منطقة موبوءة بمرض معد ولا يخرج منها شهيداً من حيث الأجر إن كان صابراً محتسباً الأجر عند الله، حيث قال ﷺ : **ليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد .** " (٥٤)

---

(٥٣) رواه البخاري في صحيحه ك الطب باب ما يُذكر في الطاعون حديث رقم ١٤٣٤ ، ومسلم في ك السلام باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ج٢/٢٨٧ عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ اللؤلؤ والمرجان .

(٥٤) رواه البخاري ك الطب باب أجر الصابر في الطاعون .

وقال ﷺ : " لا يوردن مُمْرِضٌ على مصح . " (٥٥)

وقال ﷺ : " فر من المجذوم كما تفر من الأسد . " (٥٦)

والأحاديث في هذا كثيرة ، وكلها تجمع على أن المريض بمرض معد لا يجوز له أن يدخل على الأصحاء ، والسليم لا يدخل على مريض بمرض معد . (٥٧) .

(٥٥) رواه البخاري ك الطب باب لا هامة ، حديث رقم ١٤٣٦ ، اللؤلؤ والمرجان .

(٥٦) رواه البخاري ك الطب باب الجذام .

(٥٧) وقد يُقال : إن الخوف من العدوى دليل على ضعف الإيمان واليقين ، أو فيه هروب من قضاء الله وقدره ، ويُجاب على هذا بما فعله عمر بن الخطاب ﷺ من رفضه السفر إلى الشام حين ظهر الطاعون بها ، فلما قيل له أتفر من قدر الله ؟ قال : نفر من قدر الله إلى قدر الله . وما على المسلم إلا أن يعمل بما أمر به الرسول ﷺ ويأخذ بالأسباب ويترك الباقي على الله ﷻ فعليه ألا يدخل منطقة موبوءة بمرض معد إذا كان خارجها ، ولا يخرج منها إذا كان بها ، مع الاعتقاد بأن كل شيء بيد الله وحده .

ثالثاً : العبادات وأثرها في صحة الإنسان .

لقد افترض الله سبحانه وتعالى على المسلم فرائض جعلها أركاناً أساسية لإقامة الدين الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام ، وفضلا عن قيمة هذه الفرائض وما تعود به من النفع العام علي الإنسان في الدنيا والآخرة نجد لها أهميه كبري في المحافظة علي صحة الإنسان وإضفاء القوة والحيوية والنشاط والهمة علي هذه الصحة ، وعلي جسم الإنسان بل إن منها ما يكون مفيداً في علاج بعض الأمراض الجسمية والنفسية :

وإليك هذا النموذج لبعض منها :-

أ - الصلاة .

فالصلاة وإن كانت عبادة دينيه وروحيه إلا أنها أيضاً رياضه بدنيه من أول النية إلي ختامها ، فنجد فيها حركات متعددة بعضها يفيد الذراعين وبعضها يفيد القدمين ، وبعضها يفيد الجزع والعمود الفقري ،وبعضها يفيد عضلات الرقبة.. إنها تشتمل على عدة حركات رياضية مهمة للجسم، ومفيدة له ففيها الوقوف المنظم الذي ليس بالطويل فيتعب الجسم والقدمين ، وليس بالقصير الذي لا يفيد ، ولكنه الوقوف الذي يفيد عضلات القدمين والساقين والفخذين .

وفيها الركوع الذي يتكرر في اليوم والليلة سبع عشرة مرة علي الأقل ، والسجود الذي يتكرر في اليوم والليلة أربعا وثلاثين مرة علي الأقل . وهما مفيدان لفقرات الظهر ، وعضلات الكتف ، كما أن لهما أثرهما الطيب علي الجهاز الهضمي ، ودورة الدم في الرئة والرأس ، كذلك حركات اليدين ، والسجود عليهما ، وعلى الجبهة والركبتين وإبهام الرجلين ، فهذه كلها مفيدة للجسم صحياً ، ولها أثرها الطيب على قوة الشرايين .

يقول أحد الأطباء عن الصلاة : " ولها أثر مباشر على أعضاء الجسم ، وجميع أجهزته ، فهي رياضة سهلة للكبير والصغير ؛ لأن فيها تتحرك عضلات الجسم كله ، وكذلك المفاصل والعمود الفقري . [٥٧]

ويقول آخر : " إن الصلاة ــ وبخاصة في المسجد حيث يسعى الإنسان إليه ــ هي رياضة بدنية ممتازة موزعة على اليوم بطوله ، وعلى أوقات خمسة متباعدة بعضها عن بعض ، مما يدعو المصلي إلى الحركة الدافعة، فينعكس ذلك على بدنه ، وليس هذا فقط بل إن الصلاة ، بما تمثله من حركات وقواعد ، وقوف وانحناء ، وركوع وسجود ، تمثل نوعاً من الرياضة البدنية من الطراز الأول ، ففيها تتحرك كل أعضاء الجسم وأجهزته ، الظاهر منها والداخل ، وعندئذ يستفيد كل الجسم من هذه الرياضة ، وتتجدد حيويته وتستفيد دورته الدموية ، والمفاصل والعضلات والأجهزة كلها مثل الجهاز الدوري الدموي ، والجهاز الهضمي ، مما يدعوه إلى النشاط ، وتمام عملية الهضم دون خمول أو كسل ، مما يساعد على تغذية الجسم تغذية صحيحة . [٥٨]

ولصلاة التراويح أهمية صحية أخرى ، وهي مساعدة المعدة في هضم الأطعمة التي يتناولها الإنسان في إفطار رمضان ، وبذلك تكون الصلاة قد وقته من بعض الأمراض التي تترتب على اتخام المعدة بالأطعمة المختلفة .

هذا ، ولا تقتصر أهمية الصلاة على تلك الناحية الجسمية ــ كما هو الحال في أي رياضة ــ بل تتعداها إلى الناحية النفسية ، حيث يشعر

---

(٥٧) الطب والأطباء ــ د٠محمود دياب ص٨٤ .

(٥٨) د٠محمد الظواهري ــ أستاذ بطب القاهرة ــ مقالة بمجلة طبيبك الخاص ــ العدد ١٦٦ ص٦ أغسطس ١٩٧٨م .

الإنسان براحة نفسية وطمأنينة داخلية حين أدائها ؛ لأنه وضع آلامه وآماله في يد الرحمن الرحيم ، كما يشعر المصلي بطهارة جسمه ونفسه مما قد يكون قد علق بها من أدران حيث يصور النبي ﷺ ذلك في حديث شريف حيث يقول ﷺ : **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى بعد ذلك من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال ﷺ : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا.** " (٥٩)

وبالتجربة العملية فإن كل مصل حين يؤدي صلاته ــ وبخاصة في المسجد ــ فإنه يشعر بالراحة والأمن والطمأنينة ، **وقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى .** (٦٠)

وكان يقول لسيدنا بلال ﷺ : " **أرحنا بها يا بلال .** " (٦١)

ومعلوم أنه يوجد ترابط بين النفس والجسد ، فأي مرض نفسي يصيب إنسانا ما لا بد وأن يظهر أثره على الجسم إن عاجلا أو آجلا ، فإذا استراح نفسيا استراح جسديا ، وهكذا نجد الصلاة لازمة للإنسان بدنيا ونفسيا ، فضلا عن لزومها دينيا .

ب ــ الصيام .

ومهمة الصيام لصحة الإنسان جليلة وعظيمة ، إذ أن فيه علاج وشفاء من بعض الأمراض التي تؤثر على صحة الإنسان وأجهزته الهضمية التي تؤثر بالتالي على بعض الأجهزة الأخرى .

---

(٥٩) صحيح ومتفق عليه ــ راجع رياض الصالحين ، باب فضل الصلوات .

(٦٠) الجامع الصغير ج١/١٧٥ ، وقال رواه أحمد والنسائي وأبو داود .

(٦١) رواه أبو داود في سننه حديث رقم ٤٩٨٦ .

يقول د٠منذر الدقاق : " من المؤكد أن للصوم تأثيراً خاصاً في صحة الإنسان ، وتبدو فائدة الصوم من الناحية الطبية لدى المصابين بالالتهابات الهضمية المزمنة ، وفي طليعتهم المصاب بالالتهاب المعدي المزمن ، فهو أول مَنْ يستفيد من هذا الفرض الديني ، كما أن التهاب الأمعاء المزمن ، والتهاب القولون المزمن يستفيدان من الصيام كثيراً ، وإبعاد الغشاء المخاطي للأمعاء عن تماس الطعام مدة طويلة يرمم الخلايا الملتهبة ، ويقلل من إفرازاتها المرضية الكثيرة ، ويخفف سوائلها المخاطية ويقدم معونة أساسية في شفاء هذه الإصابات المعوية المزمنة."(٦٢)

ويؤكد طبيب آخر ــ من واقع تجربته كطبيب ــ هذه القيمة للصيام فيقول: " والدلائل واضحة لنا ــ نحن الأطباء ــ بل وبين الناس الذين يصومون الصوم الصحيح من الإحساس بالنشاط وعدم التعرض للتخمة والارتباكات المعوية والمعدية ؟، وتجمع الغازات داخل البطن ، وما إلى ذلك من تلبكات في الجهاز الهضمي ، كل هذا يزول ولا يحسه الصائم ، ولقد واجهتُ العدد الكثير من مرضاي ممن يشكون من هذه الأعراض التي سرعان ما تذهب عنهم عند حلول الشهر المبارك رمضان . " (٦٣)

ويفصل طبيب آخر فوائد الصيام الصحية ويرتبها منظمة ، مبيناً أن الصوم يفيد في علاج ما يلي :-

١- اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية ، وهنا ينجح الصيام ، وخصوصاً عدم شرب الماء بين

(٦٢) د٠منذر الدقاق ــ رئيس شعبة الأمراض الداخلية بمستشفى دمشق ــ راجع مجلة الوعي الإسلامي عدد ٢١ السنة الثانية ١٣/١٢/١٩٦٦م ص٧٢-٧٤ .

(٦٣) د٠محمد أبو الشوك ــ مجلة الوعي الإسلامي عدد٢١ ص٧٩ .

الأكلتين ، وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما في صيام رمضان ، وإذا أخذ الغذاء المناسب على حسب حالة الشخص كانت أنجح طريقة لتطهير الأمعاء .

٢- زيادة الوزن الناشئ عن كثرة الطعام ، وقلة الحركة .

٣- زيادة الضغط الذاتي ، حيث يكثر في هذه الأيام الانفعالات النفسية وحياة الترف التي يحياها بعض الناس لتزداد متاعبهم وينتج ارتفاع الضغط في الدم ، والصيام خير علاج لهذه الحالة .

٤- البول السكري : وهو ينتشر في هذه الأيام انتشار ارتفاع ضغط الدم ، ويكون في مدته الأولى وقبل ظهوره مصحوباً ـ غالباً ـ بزيادة في الوزن ، والصيام في هذه الحالة خير علاج ، إذ أن السكر يهبط مع قلة الوزن ، ويهبط السكر في الدم بعد الأكل بخمس ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي في حالات البول السكري الخفيف ، وبعشر ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي بكثير ، ولا يزال الصيام مع بعض الملاحظات في الغذاء أهم علاج لهذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين وغيره من علاج السكر ، وخصوصاً إذا كان هذا الشخص يزيد في الوزن الطبيعي .

٥- التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بتورم .

٦- التهاب المفاصل المزمنة ، وخصوصاً إذا كانت مصحوبة بسمنة ، كما يحدث عند كثير من السيدات بعد سن الأربعين ، وقد تحسنت حالات بالصيام أكثر من جميع علاجات الطب الحديث من كهرباء وأدوية على مختلف أشكالها وأنواعها . (٦٤)

(٦٤) راجع الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية ـ د٠محمود دياب ص٨٥-٨٦ .

وهكذا بالصيام يتخلص المسلم من كثير من الأمراض ، فضلا عن أنه ينمي شخصية المسلم ، ويقوي فيه الإرادة والعزيمة ، ويغرس فيه الكثير من صفات الخير .

ج ــ الحج .

وللحج الأثر الطيب في صحة الإنسان ، حيث الحركة الدائبة للجسم ، فكل حركة لمفصل في الجسم أو عضد أو عضلة هي رياضة بدنية مفيدة لجسم الإنسان بجميع أجهزته .فحركات الطواف والسعي لو طبقنا عليهما أصول الرياضة البدنية الحديثة فإننا نجد هاتين الحركتين تشبهان رياضة الجري والمشي التين يدعو إليهما الرياضيون في العصر الحديث وينظرون إليهما على أنهما أسهل وأهم الرياضات البدنية لجسم الإنسان ، إذ يمكن أن يقوم بهما الإنسان الصغير والكبير حتى ولو كان مسنا ، وتفيد كلا منهما .

كذلك فإن من مناسك الحج الذهاب إلى منى ومزدلفة وعرفات ورمي الجمرات ، وهذه كلها سعي ومشي ، وصعود ونزول ، وكل ذلك رياضة للجسم بجميع أجهزته وأعضائه ، حيث الحركة للجسم والعضلات والمفاصل ، وهذا يكسب الجسم قوة ونشاطا وحيوية .

وهكذا يشرع الله ﷻ لعباده من الفرائض ما يكون في صالحهم دنيا وأخرى ، وبدنا وروحا ، فله الحمد والمنة أن جعلنا مسلمين ، ونسأله الموت على دينه الحنيف ، آمين .

رابعاً : نظرة الإسلام إلى التداوي والأخذ بالأسباب .

من خلال ما سبق اتضح لنا جلياً مدى عناية الإسلام بجسم الإنسان وصحته ، وإذا ما التزم الإنسان هذا المنهج الإيماني الكريم في المحافظة على سلامة نفسه وبدنه عاش سليماً معافى ، لكن من البشر مَنْ يخالف فيركن إلى نفسه وهواه تاركاً منهج الله ، الأمر الذي يورده الهلاك في جسده وروحه .

ومن فضل الله ﷻ أنه لم يترك عبده إذا ما ضل أو بعد فقد بيَّن له طرق العلاج والعودة إلى الصواب .

ومنهج الإسلام في بيان طرق العلاج أنه يبدأ مرحلة العلاج بمعرفة سبب المرض أولاً ، إذ أن من حكمة الله ﷻ أن جعل لكل شيء سبباً ، فالأمراض التي تصيبنا لابد لها من أسباب ، وللتخلص من هذا المرض لابد من معرفة سببه والعمل على إزالته ، وبذلك يزول المرض ، ويعود الإنسان سليماً معافى لانتظام الترابط بين الأسباب والمسببات في الجسم .

والسنة النبوية الشريفة تؤكد هذا الترابط بين الأسباب والمسببات ، حيث ربط النبي ﷺ بين المرض والعلاج ، فبيَّن أنه ليس هناك من مرض إلا وله علاج ، ولا يوجد داء إلا وله دواء ، وأنه بعد إزالة سبب المرض تبدأ مرحلة التداوي بإزالة آثاره ، روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

" **لكل داء دواء ، فإذا أُصيب دواءُ الداء برأ بإذن الله ﷻ .** " (٦٥)

---

(٦٥) حديث صحيح رواه مسلم ك السلام باب لكل داء دواء ٢/٢٨٠ ، وأخرجه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن أبي عوانة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : قالت الأعراب : يا رسول الله ﷺ ألا نتداوى ؟ قال : نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله لم يضع ---

ومعنى الحديث أن الله ﷻ حين قدر الداء قدر له الدواء ، وأن المريض إذا أخذ هذا الدواء متبعاً جميع شرائط تناوله فإنه يبرأ ويشفى بإذن الله ﷻ .

يقول ابن القيم في توضيح الحديث : " علق النبي ﷺ الشفاء على مصادفة [٦٦] الداء للدواء فإنه لا شيء من المخلوقات إلا له ضد ، فكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده ، فعلق النبي ﷺ البرء بموافقة الداء للدواء، وهذا قدر زائد على مجرد وجوده ، فإن الدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية أو زاد في الكمية على ما ينبغي نقله إلى داء آخر ، ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته وكان العلاج قاصراً ، ومتى لم يقع المداوي على الداء لم يحصل الشفاء ، ومتى لم يكن الزمان صالحاً لذلك الدواء لم ينفع ، ومتى كان غير قابل له ، أو القوة عاجزة ، أو ثم مانع يمنع من تأثيره لم يحصل البرء لعدم المصادفة ، ومتى تمت المصادفة حصل البرء ولابد . " [٦٧]

هذا ، ويقوي الحديث السابق ذلك الحديث الذي روي في الصحيحين عن عطاء عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

" **ما أنزل الله من داء إلا أنزل له الشفاء .** " [٦٨]

=== داء إلا وضع له شفاء ، أو قال : دواء إلا داء واحد . قالوا : يا رسول الله وما هو ؟ قال: الهرم ." قال الترمذي : وهذا حديث صحيح حسن ــ راجع صحيح الترمذي ج٣٨٣/٤ باب ما جاء في الدواء والحث عليه ، ومسلم بشرح النووي ١٩٠/١٤ ، والصحيح ٢٨٠/٢ .

(٦٦) وأنا لا أوافق ابن القيم في إطلاقه لفظ " مصادفة " كثيراً في هذا النص إذ أن الله لم يخلق شيئاً مصادفة وإنما كل شيء مقدر ومخلوق بقدر ....

(٦٧) راجع الطب النبوي لابن القيم ص٩ ط دار إحياء الكتب العربية .

(٦٨) حديث صحيح رواه ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ ــ صحيح الجامع الصغير للألباني أرقام ٥٥٥٩ و ١٨٠٨و ١٨١٠ .

فهذا الحديث يؤكد أن أي داء أنزله الله أنزل له علاجاً وشفاء ، وفي هذا " تقوية لنفس المريض والطبيب ، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه ، لا التسليم أو اليأس ، وإذا ما استشعرتْ نفس المريض أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس ، وانفتح له باب الرجاء ، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية ، وكان ذلك سبباً لقوة الأرواح ، ومتى قويت الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته ، وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عله . " (٦٩)

فالبحث عن الدواء أمر تعبدي ديني ، والتكاسل عنه تفريط وإهلاك للنفس ، لكن ينبغي لمن يشتغل بالتداوي أن يرى الشفاء من الله ﷻ لا من التداوي بذاته ، فما هو إلا سبب ، والشافي هو الله ﷻ .

ومما يشهد بعظمة الإسلام أنه في الوقت الذي كانت تخيم فيه الجهالة الطبية على العالم ، في ذلك الوقت كان رسول الله ﷺ يشجع الناس على التداوي والعلاج والأخذ بالأسباب ، وذلك عن طريق إزالة ما يكون لدى المسلمين من شكوك حول شرعية التداوي وحله أو حرمته .

(٦٩) الطب النبوي لابن القيم ص١٢ بتصرف .

وقد اعتقد بعض المسلمين أن المرض قدّره الله ، وقدر الله لا يمكن دفعه ولا رده ، وعلى ذلك لا داعي للتداوي والعلاج لأن هذا لا يفيد شيئاً أمام قدره ﷻ ، وأمام هذا الاعتقاد الخاطئ يبين الرسول ﷺ أنه إذا كان المرض من قدر الله فإن الشفاء والعلاج هو أيضاً من قدر الله ، وليس هناك شيء يخرج عن قدر الله ﷻ .

روي عن خزامة ﷺ أنه قال : قلت : يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟

فقال ﷺ : **هي من قدر الله .** " (٧٠)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن السنة النبوية الشريفة ترشد إلى الأخذ بالأسباب والمسببات ، وتربط بين المقدمات والنتائج ، وتقرر أن المرض إذا نشأ لسبب ما ، فإن إزالته ممكنة وذلك باستعمال الدواء والأخذ بأسباب العلاج .

هذه نظرة الإسلام إلى التداوي والأخذ بالأسباب والتي دعا إليها وعمل على الالتزام بها امتثالاً لما أمر به رسول الله ﷺ وهديه الشريف .

وإليك هذه النماذج من هديه ﷺ في معالجاته لبعض الأمراض .

---

(٧٠) رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن ولا يُعرف لأبي خزامة غير هذا الحديث ــ راجع سنن الترمذي ١٣٧/٢ ، نيل الأوطار للشوكاني ج٨٩/٩ .

خامسا : نماذج من هدي الرسول ﷺ في معالجاته لبعض الأمراض .

تمهيد :-

(١) حين نتحدث عن هدي النبي ﷺ في علاج بعض الأمراض التي كانت شائعة في عصره ، وفي منطقته ، ونعرض نماذج من هذا العلاج. قد يتعجب بعض شباب العصر الحاضر من هذه النماذج ، بل إن البعض غير المؤمن قد يسخر من هذا العلاج ، ويتخذه هدفا للتندر والتفكه ، أو دليلا على بدائية الإسلام .

ورأيي في هذا الموضوع يقوم على عدة حقائق مؤكدة ، وهي :-

أ- أن العلاج الذي أمر به الرسول ﷺ لأي مرض من الأمراض لم يكن هناك ــ وفي زمنه ــ أي علاج آخر يقوم مقامه ، ويكون أفضل منه ، أو مساويا له في الأفضلية ؛ لأنه لم يكن في عصره صيادلة وأطباء ، أو كليات للصيدلة والطب تخرج متخصصين في هذين الميدانين ، ومن هنا كان العلاج الذي يصفه الرسول ﷺ ذا فائدة مهمة، وكانت له نتائجه المحققة آنذاك .

ب- إن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى ، فإذا قال قولة ، أو وصف علاجا وورد هذا عن طرق السنة الصحيحة كان قولا حقا ، وعلاجا صحيحا يجب على المؤمن أن يأخذه بلا جدال ؛ لأنه وارد عن رسول الله ﷺ وبطرق صحيح . (٧١)

ج- أما الشباب غير المؤمن وغير الواثق من أقوال الرسول ﷺ في

(٧١) ولا يعترض على هذا بقصة تابير النخل ، وقوله ﷺ : " أنتم أعلم بأمور دنياكم " ؛ لأنه لا يعقل أن يجعل الرسول ﷺ من بني الإنسان مجالا لتجارب غير موثوق بها ، سيما إن كان هذا يتعلق بمسألة الحياة أو الموت .

الطب والعلاج ، أو أولئك المشككون في الإسلام ، أو في رسول الله ﷺ وأقواله ، أقول لهم : أمامنا العلم الحديث نحتكم إليه في بعض النماذج الطبية من هدي الرسول ﷺ والتي ستعرض إن شاء الله بعد هذا التمهيد .

(٢) أما عن فائدة العلاج النبوي في عصرنا الحاضر فإننا سنجد أن هذا العلاج ما زال يُستعمل في عصرنا الحاضر ، إما على صورته الأولى ، وإما على صورة جديدة استحدثها العلم الحديث ، وسأعرض هذا بذكر الصورتين : الصورة الأولى ، والصورة الحديثة .

ولا يعني هذا أن الرسول ﷺ كان يعالج كل الأمراض ، وإنما كان يعالج ما يُعرف منها ، ويستدعي الطبيب لما لا يعرف كما سترى إن شاء الله ﷻ، وهذه بعض نماذج من هديه ﷺ في علاج بعض الأمراض :-

** علاج الحمى بالماء :-

جاء في الصحيحين عن نافع عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال : " **إنما الحمى ــ أو شدة الحمى ــ من فيح جهنم فأبردوها بالماء .** " (٧٢)

هذا الحديث الطبي لرسول الله ﷺ يصف فيه الحمى وشدتها بأنها كفيح جهنم ، أي كأنها حر جهنم ولهيبها وذلك من شدتها وتأثيرها على جسم الإنسان بارتفاع حرارته ، وقد جعل الرسول ﷺ علاج هذه الحرارة وهذه الشدة قائماً على التبريد وإذ لم يكن مثلجات أو ثلج ، فلم يكن أمامه ﷺ إلا الماء ليصفه علاجاً لشدة الحمى وارتفاع حرارة الجسم .

---

(٧٢) أخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني عن رافع ابن خديج ــ راجع عمل اليوم والليلة لابن السني ص١٨١ ط الهند، وأحكام المرض ــ لابن تاج الدين الحنفي ــ تحقيق محمد سرور البلخي ص٣٥١ ط ١ / ١٩٩٧م .

وحين نحتكم إلى الواقع ، أو إلى الطب الحديث فإننا نجدهما يعترفان بهذا الطب النبوي ويؤيدانه .

* فأما الاحتكام إلى الواقع فذلك أننا إذا ما ذهبنا إلى طبيب لعلاج مريض الحمى فإنه ــ مع وصفه لأنواع العلاج الحديث ــ يأمر بالكمادات الباردة على أجزاء معينة على الجسم ووضع الماء البارد عليها ، بل وقد يوصي بتناول المريض دواءه مثلجاً .

* وأما الاحتكام إلى العلم الحديث فإني أكتفي بنقل ما قاله أحد الأطباء تعليقاً على حديث الرسول ﷺ ، حيث يقول هذا الطبيب : " كل حالات الحميات عند اشتداد الحرارة تُعالج بالماء بطريقتين :-

١- من الخارج على هيئة مكمدات باردة أو مثلجة لغرض تهبيط درجة الحرارة .

٢- تعاطي الماء بالفم بكثرة أثناء الحميات يساعد جميع أعضاء الجسم ــ خصوصاً الكليتين ــ على النهوض بوظائفها الحيوية للجسم." (٧٣)

على أن خطاب الرسول ﷺ في حديثه هذا قد يكون خاصاً بأهل الحجاز وما والاهم ، إذ أن أكثر الحميات التي تعرض لهم من الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس ، وهذه ينفعها الماء البارد شرباً واغتسالاً . (٧٤)

وبهذا يكون حديث رسول الله ﷺ خاصاً بجماعة معينة وبمناطق معينة وهي التي تشتد فيها حرارة الشمس ، لكن يمكن في عصرنا الحاضر أن نطبق العلاج الذي وصفه الرسول ﷺ لأهل الحجاز المحمومين ونستفيد

(٧٣) د٠عادل الأزهري ــ تعليقات طبية على كتاب الطب النبوي لابن القيم ص١٨.
(٧٤) راجع الطب النبوي لابن القيم ص١٩ .

منه ، وذلك إذا كانت الصورة واحدة في كلتا الحالتين ، وهذا ما يحدث الآن من وصف بعض الأطباء للماء المثلج والكمادات في بعض حالات الحمى ، وبخاصة إذا كانت ناشئة عن شدة الحرارة .

أما إذا أخذنا الحديث على أنه غير خاص فإنه بذلك يكون حديثاً عاماً وشاملاً لجميع الناس ولجميع أنواع الحميات ، ويكون العلاج بالإبراد بالماء لكل محموم بأي نوع من أنواع الحميات فإن العلاج بالإبراد بالماء ــ كما جاء في الحديث ــ يكون علاجاً مساعداً مع الأدوية الحديثة لمن يستطيع الحصول عليه ، أو يكون علاجاً وحيداً لمن لا يستطيع شراءه أو الحصول عليه ، وهذا مُشاهد في بعض البلاد الفقيرة ، وبذلك يظل حديث رسول الله ﷺ نافعاً للمسلمين دائماً وأبداً ، ثم إن العلاج الذي وصفه الرسول ﷺ يكون أكثر فائدة وأقوى تأثيراً في فصل الصيف وفي المناطق الحارة ؛ لأن الماء في ذلك الوقت يكون أبرد من أي شيء آخر، وذلك لبعده عن ملاقاة الشمس ، فإذا استعمل في الكمادات أو الاستحمام للمريض بالحمى فإنه ــ وبإذن الله ــ يُخفِّض حرارة الجسم ، ويُطفئ الحمى لأن تبخر الماء على جلد المريض يخفض من حرارته .

** علاج الإسهال :-

جاء في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : **إن أخي استطلق بطنه** ، فقال رسول الله ﷺ : " **اسقه عسلاً**"، فسقاه ثم جاءه فقال : إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً ، فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال : " **اسقه عسلاً** " فقال : لقد سقيته فلم يزده

إلا استطلاقا ، فقال رسول الله ﷺ : " **صدق الله وكذب بطن أخيك** " فسقاه فبرأ . (٧٥)

هذا الحديث الشريف يصور قصة رجل أعرابي ملأ بطنه بأنواع الطعام حتى أصيب بالتخمة ، وبالتالي زيادة الفضلات في المعدة والأمعاء ، فأمره الرسول ﷺ ــ عن طريق أخيه ــ بشرب عسل النحل ، فسقاه أخوه عسلا لكنه عاد واشتكى لرسول الله ﷺ أن هذا قد زاد الاستطلاق عند أخيه ، فأمره الرسول ﷺ أن يكرر ذلك ثانية ، لكن الرجل عاد بنفس الشكوى ، فقال له الرسول ﷺ : صدق الله ، أي صدق الله في قوله ﷻ عن النحل وعسله :

﴿**يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ النحل ٦٩.

وكذب بطن أخيك .

وفي الطب القديم قالوا : إن هذا الرجل كانت عنده فضلات في المعدة فلما شرب العسل تحللت هذه الفضلات ، وأسرعت بالخروج من بطنه ، وكان نتيجة هذا شدة الإسهال ، فلما رأى أخوه هذا اعتقد أن العسل لم ينفع ولم يفده شيئا من شفاء ، بل إنه زاد الضرر وأساء إلى أخيه بدليل زيادة الإسهال ، والحقيقة أنه لما ازداد في سقيه العسل ازداد التحلل والإسهال حتى اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن وحينئذ استمسك بطن هذا الأعرابي وزالت آلامه وشفاه الله من مرضه لأخذه بالطب النبوي ، ولاتباعه نصائح الرسول ﷺ .

---

(٧٥) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وعبد الرزاق في مصنفه ، وفيه " صدق القرآن " بدلا عن "صدق الله " ، وأخرجه الترمذي في باب التداوي بالعسل ، وقال : حسن صحيح ــ راجع صحيح البخاري ٩/٤ ط الحلبي ، ومسلم بشرح النووي ٢٠٣/١٤ ، وسنن الترمذي ٤٠٩/٤ ط مصطفى البابي ، ومصنف عبد الرزاق ١٥٣/١١ ط دار العلم للملايين بيروت .

ويوضح **ابن قيم الجوزية** حقيقة هذا المرض وسببه وكيفية الشفاء منه فيقول : " كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته عن امتلاء ، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء ، فإن العسل فيه جلاء ودفع للفضول ، وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيه للزوجتها ، فإن المعدة لها خمل كخمل المنشفة ، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء ، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط ، والعسل جلاء ، والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء لاسيما إن مُزج بالماء الحار . " (٧٦)

وبهذا فإن رسول الله ﷺ قد وصف عسل النحل علاجاً لمن يُصاب بالتخمة ، وذلك لدفع فضلات المعدة إلى الخارج فتتخلص المعدة بهذه الطريقة من كل ما يؤلمها أو يضايقها ، وبالتالي يضايق صاحبها ويؤلمه.

وليست هذه هي فائدة العسل الوحيدة إذ أنه مفيد في نواح أخرى متعددة ذكرها ابن القيم ، وهذه بعضها :-

١- أنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها .
٢- مغذ وملين للطبيعة ، ومُذهب لكيفيات الأدوية الكريهة .
٣- منق للكبد والصدر ومدر للبول .
٤- لعقة على الريق يذهب البلغم ، ويغسل خمل المعدة ، ويدفع الفضلات عنها ويسخنها تسخيناً معتدلاً ، ويفتح سددها ، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة . (٧٧)

---

(٧٦) راجع الطب النبوي لابن قيم الجوزية ص٢٧ .
(٧٧) المصدر السابق ص٢٥-٢٦ .

أما الطب الحديث فقد أثبت فوائد العسل وأهميته للإنسان ، حيث يقول أحد أطباء هذا العصر : " ما أصدق الآية الكريمة ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ إن التركيب الكيماوي للعسل كما يلي : من ٢٥-٤٠% دكستروز "جلوكوز " ، من ٣٠-٤٥% ليفيلوز ، من ١٥-٢٥% ماء .

والجلوكوز الموجود فيه نسبته أكثر من أي غذاء آخر ، وهو سلاح الطبيب في أغلب الأمراض ، واستعماله في ازدياد مستمر بتقدم الطب ، فيُعطى بالفم ، والحقن الشرجية ، وتحت الجلد ، وفي الوريد ، ويُعطى بصفته مقوياً ومغذياً ، وضد التسمم الناشئ من مواد خارجية كالزرنيخ والزئبق والذهب والكلوفرم والمورفين ... إلخ ، وضد التسمم الناشئ من أمراض أعضاء الجسم مثل التسمم البولي ، والناشئ من أمراض الكبد ، والاضطرابات المعدية والمعوية ، وضد التسمم في الحميات مثل التيفود ، والالتهاب الرئوي ، والسحائي والمخي والحصبة ، وفي حالات ضعف القلب ، وحالات الذبحة الصدرية ، وبصفة خاصة في الارتشاحات العمومية الناشئة من التهابات الكلى الحادة ، وفي احتقان المخ ، وفي الأورام المخية ... إلخ .

وقد يُقال : وما أهمية هذه الآية مع أن كل أنواع الغذاء لها فوائد ، وقد ذكر العسل لأنه غذاء لذيذ الطعم وبطريق المصادفة ؟

فالحقيقة هي أن أنواع الغذاء الأخرى لا تُستعمل كعلاج إلا فيما ندر من الأمراض الناشئة عن نقصها في الغذاء فقط ، وهذه الفواكه التي تشبه العسل في الطعم فإن السكر الذي هو فيها سكر القصب أو أنواع أخرى ، وليس فيها إلا نسبة ضئيلة من " الجلوكوز " الذي هو أهم عناصر العسل.

وإذا علمنا أن " الجلوكوز " يُستعمل مع الأنسولين حتى في حالة التسمم الناشئ عن مرض البول السكري علمنا مقدار فوائده ، وأن القرآن الكريم لم يذكره بطريق المصادفة ، ولكنه تنزيل ممن خلق الإنسان والنحل ، وعلم كلاً منهما وعلاقته بالآخر . " (٧٨)

هذا ، وإذا كان الرسول ﷺ قد وصف العسل علاجاً لبعض المرضى منذ أربعة عشر قرناً من الزمان إلا أنه ما زال ــ وسيزال ــ علاجاً نافعاً ، وغذاءً مقوياً إلى ما شاء الله ﷻ .

** علاج الاستسقاء :-

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قدم رهط من عرينة وعكل على النبي ﷺ فاجتووا المدينة فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال : **لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها .** " ففعلوا ، فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الإبل وحاربوا الله ورسوله . " (٧٩)

مضمون هذا الحديث أن بعض الأعراب جاؤوا إلى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ لكن جو المدينة لم يناسبهم ، وحدث ما يشبه التنافر بين صحتهم وطبيعة هذا الجو ، مما ترتب عليه إصابتهم بمرض الاستسقاء ، وهو مرض يتميز بانتفاخ البطن نتيجة لوجود سائل مصلي داخل التجويف البريتوني ، وأسبابه عديدة أهمها :-

تليف الكبد نتيجة بلهارسيا ، هبوط القلب ، الدرن البريتوني ... إلخ .

---

(٧٨) د٠عبد العزيز سلام ــ الإسلام والطب الحديث ص١٠٩ ــ ١١٠ ط٢ ــ ١٩٥٩م ، وانظر في فوائد : الأدوية بالقرآن الكريم ــ د٠محمد هاشم ص٨٦-٨٧ ، ومع الطب في القرآن ــ د٠عبد الحميد دياب ص٨٢-١٩٩ ، و كتاب عسل النحل شفاء نزل به الوحي ــ د٠عبد الكريم الخطيب .

(٧٩) أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أنس ﷺ ك الطب باب الدواء بأبوال الإبل فتح الباري ج١٠/١٤٣ ط دار المعرفة .

وعلاجه ينصب على علاج السبب له ، مع عمل عملية بذل بطن لاستخراج السائل في حالة الشدة . " (٨٠)

فلما اشتكوا إلى النبي ﷺ ما أصابهم أشار عليهم بشرب أبوال إبل الصدقة وألبانها ، فلما فعلوا ذلك شفاهم الله ﷻ بهذا العلاج النبوي الذي يقوم على لبن الإبل وأبوالها .

ويحدد **ابن قيم الجوزية** السبب في وصف الرسول ﷺ اللبن والبول لعلاج هذا المرض فيقول : " الاستسقاء مرض مادي ، سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء فتربو لها ، أما الأعضاء الظاهرة كلها ، وأما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط ، ولما كانت الأدوية المحتاج إليها في علاجه ، وهي الأدوية الجالبة التي فيها إطلاق معتدل ، وإدرار بحسب الحاجة ، وهذه الأمور موجودة في أبوال الإبل وألبانها ، أمرهم النبي ﷺ بشربها فإن في لبن اللقاح جلاء وتليينا ، وإدرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد إذ كان أكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والأقحوان والإذخر وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء . " (٨١)

أما عن شرب بول الإبل وفائدته في علاج الاستسقاء فإن ابن القيم يستشهد بقول أحد الأطباء القدماء : " والنفع من الاستسقاء خاصة إذا استعمل ــ أي اللبن ــ لحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل ، وهو حار كما يخرج من الحيوان، فإن ذلك مما يزيد في ملوحته وتقطيعه الفضول وإطلاق البطن . " (٨٢)

---

(٨٠) الطب النبوي لابن القيم ص٣٦ .

(٨١) الطب النبوي لابن القيم ص٣٦ .

(٨٢) المصدر السابق ص٣٦-٣٧ .

ومما لا شك فيه أن أي قارئ في عصرنا الحاضر لعلاج الاستسقاء هذا لابد وأن يتعجب من طبيعة هذا العلاج ، بل قد تشمئز بعض النفوس من كون أبوال الإبل تستعمل في علاج المرض عن طريق شربها .

وللرد على هذا نقول : إن العلاج بأبوال الإبل وارد عن رسول الله ﷺ ، وهو لا ينطق عن الهوى ، أما اشمئزاز النفس من هذا العلاج فالكل يعرف أن هناك الكثير من الأدوية في عصرنا الحاضر تشمئز منها النفوس ، إما لطعمها غير المألوف ، أو للونها غير الطبيعي ، أو لرائحتها المزعجة، لكننا نتناولها أملا في الشفاء وحبا في زوال المرض.

وقد يتساءل البعض فيقول : إن أبوال الإبل من النجاسات والقاذورات فكيف يعالج بها الإنسان ؟ وكيف ينصح الرسول بهذه النجاسات والقاذورات لتكون علاجا لمرض الاستسقاء ؟

والجواب : أنه لم يكن في عصرهم من علاج لمرض الاستسقاء إلا هذا العلاج الذي وصفه الرسول ﷺ ، وإذا أمر رسول الله ﷺ بالتداوي بأبوال الإبل كان ذلك دليلا على طهارتها وأنها ليست من النجاسات ، وعلى فرض نجاستها فالضرورات تبيح المحظورات ، على أن قذارة هذه الأبوال لا تساوي شيئا في مقابل قذارة أصل بعض الأدوية الحديثة كالبنسلين الذي يستخلص من العفن والفطريات المتعفنة .

وإذا كانت أبوال الإبل تعد من القاذورات ، فإن العلم الحديث أخذ هذه الأبوال وحللها واكتشف فيها مواد مهمة لعلاج الإنسان من بعض الأمراض ، وقامت بعض شركات تصنيع الأدوية بالاستفادة من هذه المواد البولية .